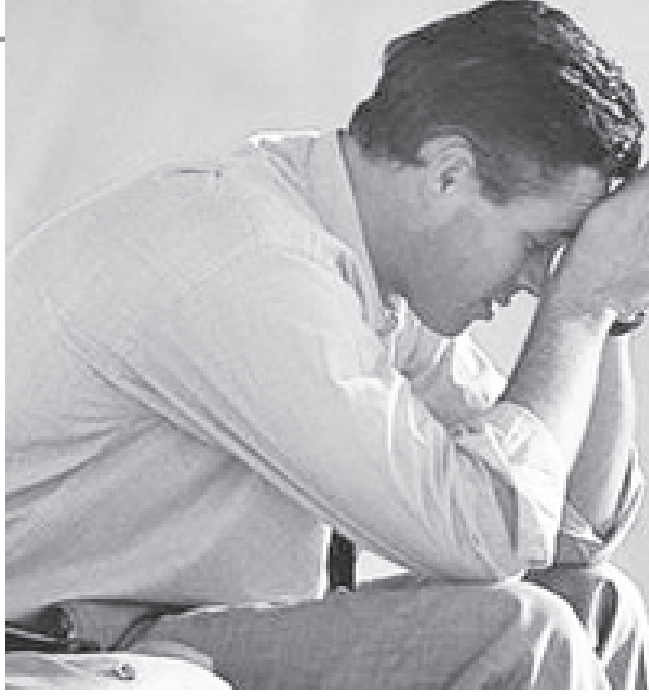


البنك النفسي وأزمات المستقبل

لا شك أن الإنسان المعاصر يتعرض يومياً لبعض المواقف الإحباطية الصعبة والتي تمثل عليه ضغوطاً نفسياً تجعله قد يتكيف تكيفاً لا سويّاً مع الآخرين في المجتمع.



قاعدة تخويف كونت لديه مجموعة من العقد النفسية وسلبية في مفهوم الذات والنظرة المتشائمة للمستقبل. كما كونت لديه الثالوث المعرفي المرعب للاكتئاب وهو النظرة السالبة للمستقبل وللنفس أو الذات والتفسير السيئ لكل مواقف الحياة والتحقير الدائم لشخصيته أي جعل شخصيته تعيش في ظلام دائم وقلب أسود ونظرة سوداوية للمستقبل أي رؤية المستقبل بظلام شخصيته لأن بنك العواطف والأحاسيس والمشاعر الطيبة «صفر» فإذا تولى مسئولية مؤسسة ضيعها وحول من فيها إلى النيابة العامة لآتفه الأسباب أو أدخل بعضها السجن أو نهبا وحول من فيها إلى لصوص لتخريبها، وإذا تولى مسئولية بلد وقامت حرب بين بلده وبلد آخر حرقة مثل هتلر والتتار والمغول .. وغيرهم. فهل ندرك ذلك وتكون الأم قاعدة أمن حتى تبنى لنا الأبطال والمبدعين والعباقرة والحياة حتى نسعد وتقدم وننتصر على الآخر.

وصدق الشاعر
الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعباً طيب الأعراق
وصدق رسولنا الكريم حين أكد على أهمية الأم في رعاية الأبناء وأن الجنة تحت أقدام الأمهات.

طبعية وجدانية، إشباع حاجاته الضرورية وتنظيفه، تصحيح مسار الطفل أولاً بأول وتوجيهه كل هذا يسمى بالتبادل الوجداني بين الأم والطفل أي أن الأم أصبحت تمثل لطفلها قاعدة أمن نفسى فادت إلى ارتفاع رصيده في بنك العواطف والمشاعر والأحاسيس وارتفاع في درجة المشاركة الوجدانية وإيجابية في مفهوم الذات وارتفاع في درجة الذكاء الوجداني جعله يستخدم عقله وتفكير بصفة دائمة قبل انفعالاته لضبطها وإدارتها وتنظيمها وإخراجها في صورة إيجابية ترضى الآخرين معه. هذا البنك النفسى من العواطف والمحبة والمشاعر المهذبة، جعله شخصاً ووداً راقياً في سلوكه مهذباً محباً لهم فأحبوه توافق سوى مع نفسه ثم تكيف سوى مع الآخرين وانسجم ومواءمة معهم «العيش في سلام».

أما التجاء الإنسان إلى الكبت بصفة دائمة وإلى الحيل اللاشعورية وإلى حيل الهروب الجزئية والكيف اللاسوى وعدم التوافق (تكيف لا توافقى) وعدم انسجام مع الآخرين معه في المجتمع هو الندم كانت تمثل له في مرحلة الطفولة قاعدة تخويف ورعب أو موت الأم أو انفصالها عن الأب وزواجها وأصبحت زوجة الأب تمثل له

المعاصر يلجأ إما للكبت على مستوى اللاشعور واللاوعى فتكون الحيل اللاشعورية (الكذب، السرقة، الاغتصاب، التزوير... إلخ).

أو يلجأ إلى القمع على مستوى الشعور أو الوعى فتكون الدفاعات ناجحة فيحدث التسامى «الإعلاء» للدوافع الغريزية والجنسية (النفس الأمارة بالسوء) في صورة إبداع وإنشاء حضارة للمجتمع لأن مفهوم ذاته مازال إيجابياً (الأنا قوية) يجعله يعطى بقوة ومحبة ويقتطع ضمير التى تعتبر من أهم العوامل الكبرى في الشخصية.

فهناك رصيد مرتفع من العواطف والمشاعر الإيجابية الذى يجعله يقاوم ويتحدى هذه المواقف المحبطة وينتصر عليها بروح معنوية قوية (تجديد أمل عن طريق الحب والتفانى والأخلاص).

فالدفاعات الناجحة أدت إلى ارتفاع درجة المقاومة لديه تجاه هذه المواقف المحبطة والصعبة ولأن مفهوم الذات مازال إيجابياً جعل الإنسان ينظر إلى المستقبل نظرة تفاؤلية وباستبشار له.

والذى أدى إلى ذلك هو الأم فالأم إذا كانت تمثل قاعدة أمن نفسى لطفلها أثناء الرضاعة وخلال الـ ٦ سنوات ما قبل المدرسة الابتدائية (ابتسامه أثناء الرضاعة، مسح على رأس الطفل.

هذه المواقف المحبطة تنتج عن عدم إشباع حاجاته النفسية والضرورية ولعدم تحقيق ذاته أو أمله في الحياة فأدى ذلك إلى تكوين العقد النفسية السيئة لديه. كما أن هذه المواقف الإحباطية تجعله يلجأ إلى الكبت الذى ينتج عنه التجاؤء إلى الدفاعات النفسية الفاشلة وليست الناجحة كحيل لا شعورية (ميكانيزمات دفاع نفسى سيئة فاشلة) (بلغة سيكولوجية: حيل هروب جزئية) من أجل التكيف اللاتوافقى. مثل الكذب، التبرير، الإزاحة والتأملق، التناقض الوجداني، السرقة، التعويض هذه المواقف المحبطة أثرت على مفهوم ذاته بالسالب.

المواقف المحبطة تجعل الإنسان



بقلم: د. إبراهيم محمد المغازى
قسم علم النفس جامعة قناة السويس